

## الرَّسَالَةُ ٣٠٩

### وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

(Arabic – You must serve Him)

أحبائي.. حديثنا اليوم موضوعه: وإيَّاهُ تَعْبُدُونَ

ومن سفر التثنية الأصحاح الثالث عشر نقرأ العدد الرابع:

"وَرَاءَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. وبه تلتصقون".<sup>١</sup>

تلك الآية التي وردت بسفر التثنية الأصحاح الثالث عشر. يُمكن اعتبارها أساساً يَبْنِي عليه الإيمانُ الصحيحُ بالله. إذ أنها توضح في جلاء الأعمدة الراسخة القوية التي يقوم عليها البناءُ كله لعلاقة الإنسان بالإله الحي. سجلها موسى النبي في أحد أسفار الخمسة. لتكون هادياً لكل نفس تشاق إلى معرفة الطريق القويم المباشر لحياتنا الإنسان الحياة الأفضل. ولقد كان ذلك في العهد القديم توجيهاً هاماً بالوحي الإلهي للشعب الذي اختاره الله ليحمل رسالة الإيمان. وما زال ذلك التوجيه لازماً لا غنى عنه في العهد الجديد. فتلك الآية بسفر التثنية تتضمن وصية بآركان ستة. يا حبذا لو حفظناها في قلوبنا وتاملنا معانيها السامية بامعان وتدقيق:<sup>٢</sup>

أولاً: قوله.. وَرَاءَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ تَسِيرُونَ.. أحياناً حين نتطلع إلى السماء ونرى جماعة من الطيور تسبح في الجو الفسيح. نلاحظ أن أفراد تلك الجماعة تطيرُ مُتَّجِهَةً وَجْهَةً وَاحِدَةً مُعَيَّنَةً. كأنى بها تتحرك على هدى خُطَّةٍ مرسومة ورائاً قائدٍ حكيم يقودها. وكأنها جيشٌ مُدْرَبٌ على أعلى مستوى من التدريب. فهي تتبعه وتسيرُ ورائه بالتزام وتصميم عبيب. وقد نرى مثيلاً لها في عالم الكائنات التي اعتدنا رؤيتها في البيئة التي نعيش فيها. إذ يُوجدُ في قطعان الغنم مثيلها ولكننا أحياناً ما نتبع قائدها إلى التهلكة. ويُوجدُ نوعٌ من الأسماك يرحلُ جماعاتٍ إلى بقعة للإخصاب ثم يرجع غريزياً إلى موطنه الأصلي. "ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء".<sup>٣</sup>

وتلك الوصية التي نصّها كالاتي: "وَرَاءَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ تَسِيرُونَ". نحتاج منا كمؤمنين أن نوجه أبصارنا نحو إلهنا من خلقنا على الدوام ونسيرُ ورائه بكل التزام. وإلا ضللتنا الطريق الآمن وقادتنا أقدامنا إلى طريق آخر عاقبته الهلاك. فقد جاء بسفر الأمثال أنه: "توجدُ طريقٌ تظهرُ للإنسان مستقيمةً وعاقبتها طرقُ الموت". إن السيرَ مع الله يستلزم منا (١) الإيمان. (٢) العزيمة. (٣) التدريب المتواصل. كثيرون فشلوا في حياتهم الروحية لأنهم لم يلتزموا في سيرهم مع الله. إذ كانوا يعرجون بين الفرقين شعارهم قد تلتفوه من إبليس: "ساعة لقلبك وساعة لربك". واكتشفوا بعد ذلك أنهم ضحاياهم وسقطوا بجهل في فخِّه المحكم. لقد جاء بسفر الملوك الأول قول إيليا النبي للشعب في ذلك الوقت: "حتى متى تعرجون بين الفرقين؟. أن كان الربُّ هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه". ومن الأمثلة الرائعة للرجال الذين ساروا مع الله هو أخنوخ وجاء ذكره بسفر التكوين إذ مكتوب عنه: "وسارَ أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه". وجاء أيضاً ذكره بالرسالة إلى العبرانيين: "بالإيمان نقلَ أخنوخ لِكَيْ لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله".<sup>٤</sup>

ثانياً: وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ.. إن معنى التقوى هو خوفُ الله. وخوفُ الله صفة ملازمة لمحبة الله. ويتنافى مع الخوف من البشر. لأن الخوف من البشر ليس من صفات المؤمن المتعبِّد لله الحي. وتقوى الله أساسها الالتزام بأحكامه وطاعة وصاياه. وتمجيد اسمه العظيم. والهيبة والوقار لجلاله. والكرامة والعزة والسجود له وليس لِسِوَاهُ. والانتفاء في الكتاب المقدس مطوبون مميرون. ففي المزمور الرابع قال داود النبي: "فاعلموا أن الربَّ قد ميزَ

استمع إلى الإنجيل

<sup>١</sup> سفر التثنية ١٣: ٤

<sup>٢</sup> سفر يشوع ١: ٨ ، سفر التثنية ١١: ٢٦ - ٢٨

<sup>٣</sup> سفر الأمثال ٦: ٦ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١١: ٣٣

<sup>٤</sup> سفر الأمثال ١٤: ١٢ & ١٦: ٢٥ ، سفر الملوك الأول ١٨: ٢١ ، سفر التكوين ٥: ٢٤ ، الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٥

تَقِيَّةٌ". وفي مزمُوره السَّابع والثلاثين قال: "جِدْ عَنِ الشَّرِّ وَاغْلِبِ الْخَيْرَ وَاسْكُنْ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ وَلَا يَتَخَلَّى عَنْ اتِّقْيَائِهِ. إِلَى الْأَبَدِ يُحْفَظُونَ أَمَّا نَسْلُ الْأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ". وفي مزمُوره الرَّابِع والثلاثين يقول: "اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قَدِيسِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَقِيهِ". وكتب بطرسُ الرَّسُولُ في رسالتهِ الثَّانِيَةِ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي يقول: "يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنَّ يُنْفِذَ الْأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ". وَيَنْصَحُ بُولُسُ الرَّسُولُ تلميذَهُ تيموثاوسَ في رسالتهِ الْأُولَى الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ بقوله: "رَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى". وَقِيلَ عَنْ كَرْنِيلْيُوسَ بِسُفْرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ الْأَصْحَاحِ الْعَاشِرِ: "وَهُوَ تَقِيٌّ وَخَافُفُ اللَّهِ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ وَيَصَلِّي إِلَى اللَّهِ كُلَّ حِينٍ".<sup>١</sup>

ثالثًا: وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ.. لَقَدْ خَتَمَ كَاتِبُ سُفْرِ الْجَامِعَةِ السُّفْرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: فَلِنَسْمَعُ خَتَامَ الْأَمْرِ كَلِيهِ: "اتَّقِ اللَّهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ. لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ". وكتب يوحنا الرَّسُولُ في رسالتهِ الْأُولَى الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ يقول: "فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً". وَقَالَ صَاحِبُ الْمَزْمُورِ الثَّانِي عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِترِيمًا: "هَلِّلُوبَا، طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَقِي الرَّبِّ، الْمَسْرُورُ جَدًّا بِوَصَايَاهُ". وَجَاءَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ عَشَرَ تَحْذِيرُ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ الْخَلْطِ بَيْنَ وَصَايَا اللَّهِ وَوَصَايَا النَّاسِ إِذْ قَالَ: "لَقَدْ أُبْطِلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ يَا مُرَاوُونَ. حَسَنًا تَتَّبَعُوا عِنْدَكُمْ إِشْعِيَاءَ قَائِلًا: يَقْتَرِبُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ بِفِيهِ وَيَكْرُمُنِي بِشَفَقَتِهِ. وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبِاطِلًا يَعْبُدُونَنِي. وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ".<sup>٢</sup>

رابعًا: وَصَوْتُهُ تَسْمَعُونَ.. لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِلْيَهُودِ فِي الْهَيْكَلِ: "الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ". وَبِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ جَاءَ أَنَّ التَّلَامِيذَ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا كَانُوا عَلَى جَبَلِ التَّجْلِيِّ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ وَسَمِعُوا صَوْتًا مِنَ السَّحَابَةِ النَّيِّرَةِ الَّتِي ظَلَّتْهُمْ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِّرْتُ لَهُ اسْمَعُوا". وَبِرِسَالَةِ يَعْقُوبَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ جَاءَتْ تِلْكَ الْآيَةُ الذَّهَبِيَّةُ: "كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نَفُوسِكُمْ".<sup>٣</sup>

خامسًا: وَأَيَّاهُ تَعْبُدُونَ.. جَاءَ عَنْ يَسُوعَ بْنِ نُونٍ بِسُفْرِهِ بِالْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ. أَنَّهُ جَمَعَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ وَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا: "فَالآنَ اخْشَوْا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ. وَانزِعُوا الْإِلَهَةَ الَّذِينَ عِبَدْتُمْ آبَاءَكُمْ فِي عِبْرِ النَّهْرِ وَفِي مِصْرَ وَاعْبُدُوا الرَّبَّ. وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ. إِنْ كَانَ الْإِلَهَةُ الَّذِينَ عِبَدْتُمْ آبَاءَكُمْ الَّذِينَ فِي عِبْرِ النَّهْرِ وَإِنْ كَانَ آلِهَةُ الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمْ. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبَّ". وَجَاءَ عَنْ حَنَّةَ بِنْتِ فَنُوتِيلَ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ الثَّانِي أَنَّهُا: "كَانَتْ نَبِيَّةً. وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ. لَا تَفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطَلِبَاتٍ لَيْلًا وَنَهَارًا. فَهِيَ وَقَفَتْ تَسْبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ". وَبِإِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ جَاءَ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِلْسَامِرِيَّةِ: "تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينُ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلْأَبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. لِأَنَّ الْأَبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ".<sup>٤</sup>

سادسًا: وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ.. إِنَّ الْإِلْتِصَاقَ بِاللَّهِ يَعْنِي عَدَمَ وُجُودِ حَاجَزٍ أَوْ مَانِعٍ يَقْصِلُنَا عَنِ الرَّبِّ الَّذِي أَحْبَبْنَا إِلَى الْمُنْتَهَى. وَنَسْتَمْتِعُ دَوْمًا بِحُضُورِهِ. وَلَا نَنْتَهِي عِبْرَ التَّوَاجُدِ أَمَامَ عَرْشِ نِعْمَتِهِ. لَقَدْ تَعَنَّى صَاحِبُ الْمَزْمُورِ الثَّانِي عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ بِقَوْلِهِ: "اخْتَرْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ. جَعَلْتُ أَحْكَامَكَ قَدَامِي. لَصِقْتُ بِشَهَادَاتِكَ. يَا رَبُّ لَا تَخْزِنِي. فِي طَرِيقِ وَصَايَاكَ أَجْرِي. لِأَنَّكَ تَرَحَّبُ قَلْبِي. عَلِمْتِي يَا رَبُّ طَرِيقَ فَرَائِضِكَ. فَاحْفَظْهَا إِلَى الدَّهَائِيَّةِ".<sup>٥</sup>

عزيزي القارئ: أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَتُحْنِي أَمَامَ جَلَالِكَ شُكْرًا وَحَمْدًا. يَا مَنْ دَعَوْنِي لِلْسِيرِ مَعَكَ. وَمَتَّحْتِي سَلَامَ الْقَلْبِ. وَرَجَاءَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَوَعْدًا بِأَنَّكَ مَعِي كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِي. مُتَّكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قَلْتِ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

<sup>١</sup> إنجيل متى ١٠: ٢٨، إنجيل لوقا ١٢: ٤ - ٥، سفر المزمير ٣: ٤ & ٣٧: ٢٧ - ٢٨ & ٣٤: ٩، رسالة بطرس الرسول الثانية ٢: ٩  
<sup>٢</sup> سفر الجامعة ١٢: ١٣، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥: ٣، سفر المزمير ١١٢: ١، إنجيل متى ١٥: ٦ - ٩  
<sup>٣</sup> إنجيل يوحنا ٨: ٤٧، إنجيل متى ١٧: ٥، رسالة يعقوب ١: ٢٢  
<sup>٤</sup> سفر يشوع ٢٤: ١٤ - ١٦، إنجيل لوقا ٢: ٣٦ - ٣٨، إنجيل يوحنا ٤: ٢٣ - ٢٤  
<sup>٥</sup> سفر المزمير ١١٩: ٣٠ - ٣٢